# الإيمان

ما هو الإيمان، وكيف يزيد وينقص، وكيف نزيده ونحفظه، على ضوء القرآن والسنة بأسلوب سهل.


- ما هو الإيمان

# ما وه الإيمان

في يوم من الأيام كان الصحابة جالسين عند النبي ﷺ ، فدخل عليهم رجل غريب، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، ولا يظهر عليه أثر سفر، ولم يعرفه أحد منهم. جلس أمام النبي ﷺ مباشرة، وألصق ركبتيه بركبتيه، وأخذ يسأل كما يسأل التلميذ: □□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□□ وبعد أن انصرف، أخبر النبي ﷺ عمر رضي الله عنه بمن كان ذلك الزائر. كان جبريل عليه السلام، جاء ليعلّم الصحابة دينهم.[1]

فحين نسأل: «ما الإيمان؟» فإننا نطرح السؤال نفسه الذي طرحه جبريل، والجواب يأتينا مباشرة من النبي ﷺ . فلنمضِ في الأمر على مهل، لنرى ما معناه ولماذا هو مهم.

# ما وه الإيمان حقًّا

الإيمان أكبر من أن نقول: «نعم، أعتقد أن هناك إلهاً». فهذا يقوله كثير من الناس. الإيمان يجمع ثلاثة أمور معاً: قلب مطمئن إلى أن الله ورسالته حق، وثقة به، واستعداد لاتباع الطريق الذي دلّنا عليه.

تخيّل إنساناً يذهب إلى طبيب ماهر. لا يكفيه أن يعرف أن الطبيب موجود؛ إنه يثق بتشخيصه إلى حد أن يتناول الدواء، وإن لم يعرف كيف يعمل. والإيمان كذلك. ليس معلومة في الرأس فحسب، بل ثقة تغيّر طريقة عيشنا.

وكلمة «الإيمان» مأخوذة من الجذر نفسه الذي جاءت منه كلمات «الأمن» و«الأمانة»، أي الشيء الذي أُودِع عندك واؤتُمنت عليه. وهذا يناسب المعنى تماماً، لأن الإيمان هو المكان الذي يجد فيه القلب أمنه وسكينته.

# الأمور الستة التي ذكرها النبي 

حين قال جبريل: أخبرني عن الإيمان، أجابه النبي  بأن تؤمن بالله، ومالئكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر، أي بأن كل شيء يجري بقضاء الله، خيره وشره.[1] قائمة قصيرة، لكن كل بند فيها يجيب عن سؤال كبير في الحياة.

الأول هو الله: أن لنا خالقًا واحدًا خلقنا لغاية، ويعلمنا علمًا تامًّا، ويعتني بنا. وعلى هذا الأساس يقوم كل ما بعده. ولهذا نلجأ إليه وحده في طلب العون، ولهذا ال نحتاج أن نخاف أحدًا غيره وال شيئًا سواه.

ثم المالئكة، وهم عباد الله الذين ال نراهم، ينفذون أوامره، ومنها إيصال وحيه إلى الأنبياء. والإيمان بهم يذكّرنا بأن العالم الغيبي حقيقة، وبأن الرسالة التي نتبعها وصلتنا عبر طريق موثوق. وزائرنا في القصة كان واحدًا منهم.

ثم الكتب. لم يترك الله نخمّن كيف نعيش، بل أرسل الهداية مع رسله، وآخر تلك الكتب، القرآن، بين أيدينا اليوم، كأنه رسالة من الذي خلقنا، يخبرنا بما نحتاج إليه أشد

الحاجة.

ثم الرسل. جاءت الهداية ومعها قدوات حية: بشر حقيقيون واجهوا الشدائد، وعاشوا حياة الأسرة، وذاقوا مرارة الفقد، ومع ذلك عاشوا بهذه الهداية. وهذا يدلنا على أن العيش بها ممكن، وأنها لأناس مثلنا.

ثم اليوم الآخر. هذه الحياة ليست نهاية القصة. سيأتي يوم يُصلَح فيه كل شيء، فينال المظلومون حقهم، ويُسأل كل واحد منا عما عمل. وهذا يعطي اختياراتنا وزنًا، ويواسي كل من ظُلم يومًا.

وأخيرًا القدر. لا شيء يحدث خارج علم الله وحكمته. وليس معنى هذا أن نجلس مكتوفي الأيدي؛ فنحن نخطط ونجتهد ونتحمل مسؤولية اختياراتنا. وما يمنحنا إياه القدر هو التوازن. فإذا أصابنا ألم ذكّرنا أنفسنا بأنه في إطار حكمة الله، فلا يسحقنا قولنا «لو أني فعلت كذا». وإذا نجح أمر تواضعنا، لأننا نعلم أنه عطاء.

ويذكر القرآن الحقائق نفسها. ففي آية أن الرسول والمؤمنين جميعاً آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله. وفي آية أخرى أن البرّ الحقيقي يبدأ بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، ثم يظهر في طريقة تعاملنا مع الناس.2 أما فكرة القدر ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ .3 وقد تجد رواية أخرى لهذا اللقاء نفسه فيها ذكر لقاء الله والبعث.4 وهذان من شؤون اليوم الآخر، فهي تشير إلى الحقائق نفسها بألفاظ مختلفة قليلاً.

# الإيمان بما لا نراه

لاحظ أن هذه الأمور الستة كلها غيبية. فنحن لم نرَ الله ولا الملائكة ولا اليوم الآخر. ولهذا يصف القرآن في مطلعه أهل الهداية بأنهم ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .5

وهذا ليس تصديقاً أعمى. فنحن لا نرى الريح نفسها، بل نرى ما تحرّكه، ولا نرى الجاذبية، بل نرى أثرها. وقد ملأ الله الكون

بالآيات: نظام الخلق، وصوت الضمير في داخلنا، والوحي الذي أنزله. والإيمان أن ندع هذه الآيات تقود قلوبنا إلى الثقة. وحتى في حياتنا اليومية نعتمد على أمور لا نراها طوال الوقت، كأن نثق بالطيار أو بالخريطة أو بتقرير الطبيب دون أن نتحقق منه بأنفسنا.

# الإيمان والإسلام والإحسان

سأل الزائر عن ثلاثة أمور، وهي متكاملة. الإسلام هو ما نعمله: أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا  رسول الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت.6 والإيمان هو ما نعتقده ونحمله في القلب. والإحسان أن نفعل ذلك كله باستحضار وانتباه: أن نعبد الله كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا.1

وأيسر ما يقرّب ذلك صورة الحديقة. الإيمان هو الجذور، والإسلام هو ما ينمو فوق الأرض ويراه الجميع، والإحسان هو الحب والعناية التي نرعى بها هذه الحديقة. النبتة بلا جذور قد تبدو خضراء لبعض الوقت لكنها لا تبقى، والجذور التي لا تُنبت شيئاً تترك الحديقة خالية. ولهذا يميل القلب المؤمن بطبعه إلى الصلاة، ولهذا تختلف الصلاة كثيراً حين يكون القلب حاضراً فيها.

# يسكن في القلب ويظهر في الحياة

علّمنا النبي ﷺ أن الله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أموالنا، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.[7] وفي هذا طمأنينة، لأن الله يرى ما لا يراه أحد غيره، من محبة وجهد صادق خفي في قلبك. وفيه تشجيع أيضاً، لأنه يرى كذلك ما نفعله بهذا القلب. ويصف القرآن المؤمنين الصادقين بأنهم الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يشكّوا بعد ذلك، وبذلوا جهدهم في سبيل

الله بأموالهم وأنفسهم.[8] هذا هو الإيمان الذي نسير نحوه خطوة خطوة، ولا يُنتظر منك أن يكتمل عندك من أول يوم.

ليس بيننا من قلبه كامل. والإيمان ليس كأسًا نناولها مرة واحدة ثم نضعها على الرف. إنه يتحرك، وسنتحدث عن ذلك في الصفحات القادمة بلطف وبأسلوب عملي. وإن خطر لك شك يومًا، فليس معناه أن إيمانك قد زال، وسننظر في ذلك برفق في صفحة لاحقة. وإن شعرت أن إيمانك أقل مما تتمنى، فأنت في صحبة طيبة، وهذه السلسلة كُتبت من أجلك.

# في صميم الأمر

في الصميم اليقين: أن تعلم بقلبك، لا بلسانك فقط، أنه لا إله إلا الله. وقد بشّر النبي ﷺ بشرى عظيمة من مات وهو يعلم ذلك.[9] والمسألة ليست تردد جملة، بل معرفتها، والعيش بها قدر استطاعتنا، والتمسك بها مدى الحياة. ومن هنا ينمو كل ما سواه.

وخلاصة القول: الإيمان قلب موقن، واثق، مستعد للاتباع. وقد ذكر النبي ﷺ ستة أمور نؤمن بها: الله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر، وكلها غيبية، لكن لدينا أسبابًا وجيهة للثقة بها. والإسلام هو الممارسة الظاهرة، والإحسان أن نعلم أن الله يرانا، والإيمان هو الجذر الذي يمسك بكل شيء.

□□ □□□□□□ □□□□□□□ : □□□□ □□□□□□□

□□□□

---

**المراجع:** [1] صحيح مسلم 8 (وكذلك جامع الترمذي 2610)، [2] القرآن الكريم 2:177، 2:285 و4:136، [3] القرآن الكريم 54:49، [4] صحيح البخاري 50، [5] القرآن الكريم 2:3، [6] صحيح البخاري 8 و صحيح مسلم 16، [7] صحيح مسلم 2564، [8] القرآن الكريم 49:15، [9] صحيح مسلم 26.